التَّماسك النَّصي

المدرس المساعد : ظاهر محمد مراد
d.mured88@uomustansiriyah.edu.iq

أولى الباحثون منذ زمن بعيد دراسة النَّص اهتماماً كبيراً، لأنه يحتل مركزاً مهمَّاً في الدِّراسات التي تهتمُّ بتحليل الخطاب ونحو النَّص، للكشف عن التَّماسك الشَّديد بين أجزائه المكوِّنة لذلك النَّص، من رصد الآليات والأدوات والوسائل اللغوية التي تربط الكلمات والجمل لتصل إلى بنية كلية تحقق التَّماسك بين أجزاءه، وتعد محاولة الباقلاني(ت403هـ) من بين أوائل المحاولات النقدية القديمة التي اهتمت بالنَّص بحدِّ ذاته، باعتباره وحدة متكاملة، وهي في نظره ميزة خاصة تميز بها القرآن الكريم، وعُرفت عنده بقضية النظم التي أعطت للنَّص المقدَّس مكانة محددة على غيره من النَّصوص الشِّعرية التي برع البشر في نظمها، وبرهن لذلك بمختلف الآليات والأدوات والوسائل اللغوية التي تدل على الانسجام والاتساق المعجمي والتَّماسك الشّديد للنَّص المقدس باعتباره وحدة كلية متماسكة.

وتأتي دراسة التَّماسك النَّصي في شعر بلند الحيدري في ديوان أغاني المدينة الميتة أنموذجاً لتوضح أنّ التَّماسك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، و أيضاً بالعلاقات بين جمل النَّص وفقراته، وبين النَّصوص المكونة للكلام، كما يهتم بالنَّص وما يحيط به داخلياً وخارجياً.

فالتَّماسك من المفاهيم التي اهتم بما علم اللغة النَّصي وذلك لانّ هنالك آلة تعمل على الربط وتحقيق التكامل والتلاحم بين أجزاء النَّص وتشكيله وتفسيرها لانها تعد وسيلة أساسية في التفكير البشري، لوجود صلة وثيقة بين اللغة والتفكير، علاوة على ذلك يعتبر نظام يكشف عن كل الأجزاء النَّصية وكيفية التَّرابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة، إذ أن التراكيب والعناصر تشكل وحدة متناسقة منسقة وهي التي يتعلق بعضها ببعض في أنسقة متماسكة.

يعد عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) من أبرز علماء البلاغة والذين اهتموا بالتَّماسك النَّصي من خلال ما جاء في كتابه (دلائل الإعجاز)، وإن قضية الإعجاز القرآني شغله الشاغل آنذاك، حيث كرس نفسه في دراسة النَّص القرآني محاولا سبر أغواره، واكتشاف أسراره وإعجازه، وكان له الفضل في تطوير نظرية النظم.

ومن هنا يكون التَّماسك النَّصي هو وجود علاقة بين أجزاء النَّص أو جمل النَّص أو فقراته النَّصية أو المعنوية مختلفا عما يسمى (نحو الجملة) من خلال المنهج الوصفي والتحليلي.

والدِّراسة النَّصية لأي نص تتطلب من الباحث الوقوف على مجمل العلاقات التي تضبط بنية النَّص، وتنظم أحداثه بحيث لا تبدو فيه أيّ ثغرة تشعر المتلقي بعدم انسياب المعاني والدَّلالات، (فالعلاقات التي تجمع جوانب النَّص أو تربط متواليات أو بعضها هي علاقة نصيَّة لا يخلو منها أي نص يتخذ الرَّبط المتماسك بين أجزائه)

وبالتالي فإنَّ الاطلاع على الأدبيات التي تناولت النَّصوص الشعرية يفضي إلى أنَّ تلك النَّصوص ثابته في معناها ومتعددة في المصطلحات التي عبَّرت عنها " حيث أثارت جدلاً واسعاً بين النقاد، وكلٌّ منهم حصرها بتعريف يعكس قراءاته ورؤيته النقدية و منطلقاته الفكرية والمنهجية"

اختلفت وظائف لسانيات النَّص عند الباحثين لاهتمامهم بالقضايا التي لها علاقة وثيقة ببناء النَّص كالاتساق والانسجام والسياق النَّصي وبنيات النَّص وتفسيرها ومن بين هؤلاء نجد " فان ديك" في كتابه مدخل متداخل الاختصاصات أن لسانيات النَّص: علم متداخل الاختصاصات يحلل النَّصوص تحليلاً منظَّماً، يمسُّ الأشكال النَّصية والأبنية النَّصية المختلفة وشروطها ووظائفها وتأثيراتها المتباينة، المحادثات اليومية والأحاديث العلاجية والمواد الصحفية والحكايات والقصص والمقاصد ونصوص الدعاية والخطب وإرشادات الاستعمال والكتب المدرسية والكتابات والنقوش ونصوص القانون والتعليمات وما شابه، بالرغم من أنَّ الأشكال النَّصية هذه تكتسب في العلوم المختلفة انتباها خاصاً، وينتج عنها أوجه طرح مختلفة القضايا؛ يتضح أنَّ وظيفة لسانيات النَّص هي دراسة النَّص على أساس أنَّه أكبر وحدة دلالية متماسكة يؤدي وظيفة تواصلية في سياق معين وتحليل اللغة في الاستعمال.